فلسفة التاريخ

حوار وتحليل

١ — تفسير التاريخ لاهوتيًا

اناطول : ان كتابك العظيم يا عزيزي ارويه (ڤولتير) « ملخّص في الاخلاق » والنادي، التي تكوّن التاريخ من عهد شارلمان الى عهد لويس الثالث عشر، هو آية تأليفك ، وهو جدير بعنوانه . فقد اضرمت ثورة عظيمة بكتاباتك التاريخية

ڤولتير : لست الاول في ذلك ، فقد اعدّ لي الطريق بوصويه بكتابه « التاريخ العام». ولم يكن التاريخ الا اقاصيص منثورة من قبل ، فهل يشرف الاسقف اسماعنا بعظة « في التاريخ»، متصوّراً أنه يلقيها في سراي لويس الرابع عشر ؟

بوصويه : ايها السادة ، انتم جماعة من «المرتابين» . فأخاف ان تضحكوا من شيخ يؤمن بالله الاب ، وبأن التاريخ مظهر العناية الالهية . فقد رمت ان أعلم ولي العهد معنى التاريخ ، فكتبت له كتاباً ، قصدت به ان يكون لكل الامم في كل العصور ، ما تكونه الخريطة الجغرافية للقارات والبحار والدول . وربيت فيه الى تبيان علاقة كل قسم من التاريخ بالكل

اناطول : مقصد جليل ، واذا تمّ فهو فلسفة مكملة

بوصويه : التاريخ ، عندي ، رواية ارادة الله المقدسة . وكل حادث فيه هو درس تمليه السماء على الناس . فأنذرت لويس الخامس عشر ان الله اعدّ الثورات لعلم الامراء التواضع

اناطول : اذاً يا سيدي الاسقف المحترم ، قد ذكرتني « برنردين دي سان بيير » الصالح، الذي رأى ان البطيخة الصفراء خلقت مقسمة لان الطبيعة أرادت ان تشترك العائلة في اقتسامها . فأؤكد لك ان تلميذك الملكي ، صار رذيلاً ، لا يصلح لشيء ، كثير الخيلاء، يحتقر وجوه الفقراء، ومع ذلك فقد بلغ من العمر عتيًّا . وكان خلفه لويس السادس عشر عفيفاً فاضلاً ، افرغ الوسع في خدمة الوطن ومنع الشرور والبؤس، فأطيح رأسه بالقطع سنة ١٧٩٢

بوصويه : ان طرقه تعالى تفوق افهامنا ، ولكن علينا ان نثق به جلّ وعلا

اناطول : على اني احترم في كتابك كشفك عن اسرار حجة، تخلق حواء وكوارث شعب الله المختار، فأتأسف لما فاتني معرفته، وفات العالم تيقنه، وخفاء كثير مما كان واضحاً نصرنا جهله بكل : وقد أعجبت كثيراً بمعرفة الاسقف بالتتابع التاريخي . فقد عرفت منه تاريخ

مقتل هابيل ، والطوفان ، ودعوة ابرهيم . وليس لذلك دليل مثبت في كل مكتبتي

كارليل : محتمل ما تقوله ياسيدي محتمل

اناطول : مع ذلك انا مدين لكم ديناً عظيماً ياصاحب السيادة، يزدكم التاريخ الى ارادة الله. فبفت تلميذك الماجز ان ارادة الله تستخدم وسائط وأسباباً قانونية طبيعية . وعلى المؤرخ استجلاء، تلك الوسائط والاسباب العاملة في ترسيخ دعائم المدن والدول المتتالية . وليس بالامر الزهيد ايراد فلسفة للتاريخ بهذا القدر من الوضوح، فيكاد لا يبقى لخصمك فولتير موطىء قدم

فولتير : ولقد منحتني شرفاً عظيماً انساني خدمات « جيوفاني باتستا ڤيكو » فانا آسف لعدم تمكني من زيارة ايطاليا في شبابي لمحادثة ذلك العالم الايطالي الخبير ولعل المستر بكل يحدثنا عنه شيئاً

بكل : انه في منتصف الطريق بينك وبين الاسقف مذهباً وزمناً . فيمتاز بالعناية الكلية القدرة والجود . ولكنه مع هذا الخضوع ألف كتاب (العلم الطبيعي الجديد) على اساس علماني محض وقد ساءل نفسه لماذا لا يكون علم للتاريخ كما هنالك علوم لسائر الامور؟ وصرح بأنه قد توجد نواميس صدفتها على اطوار الهيئة الاجتماعية كصدق نواميس نيوتن في حركات الطبيعة الترابية

اناطول : مسكين نيوتن ، يجب ان اخبره عن « اينشتين » . تفضل كمل حديثك يا مسيو بكل : فقد ظهر « لڤيكو » ان في التاريخ اتساقاً . وعنده ان الثقافة عموماً مرت على ثلاثة اطوار

هيغل : ثلاثة اطوار ؟ انها براعة منه اذ سبقني الى ذلك

بكل : الاول : الطور الهمجي، وفيه القام الاول للشعور. الثاني : طور البداوة ، وفيه خلقت المعرفة التصورية « هوميرس » و « دانتي » وأوجدت الابطال (الجبابرة) . الثالث : الطور المدني ، وفيه ابرزت المعرفة الشرائع والدول العلوم . ويتيقن ڤيكو ان الدول الرومانية شادت اسمى ذرى المدن فدكها البرابرة بالقوة البهيمية ، وبجيوش لا يحصى عددها ، هبطت على شعب مترف ، هو دونها عدداً . هكذا كل ثقافة في المستقبل تنهض للفلسفة والشعر ، ثم تهوي من حالق بقوة شعب لا يزال على الفطرة ولم يخضع للشعور والتفكير. ورأى ڤيكو في السياسة نتيجة مماثلة ذلك . فالهمجية رؤساء يصيرون ارستقراطيين، ولكي استبداد الارستقراطية وأثرتها يفضيان الى الثورة والديمقراطية . واختلال الديمقراطية وفقد الوازع فيها يمهدان عودة الهمجية . فشعار التاريخ « عود على بدء »

اناطول : الفلاسفة اجمعون بؤساء . والتفكير بلاء جسيم . وقد حسب الاقدمون اختراق حجب الغيب ، والكشف عن اسرار المستقبل ، اعظم المواهب اضراراً بأربابها وأنت انت ، يا مسيو اروبه (فولتير) ، لم ترض عن النتائج التي بلغتها في ختام تاريخك

فولتير : كنت اعالج عصراً بهيمياً . فتغلغلت في مشهد الثورات التاسع ، التي نشبت

من عهد شارلمان الى عهد لويس الثالث عشر . ومتجهها كلها الى الدمار والهلاك . فكانت كل حادثة تاريخية كارثة كبرى. وقد يكون الخطأ واجباً للمصادر التي اعتمدتها . فلم يحفظ المؤرخون أخبار السلم والطمأنينة ، بل اقتصروا على تسجيل الدمار والنكبات. فظهر التاريخ مجموعة صور جرائم وكوارث ليس الا ، تبرها خرافات سخيفة وعادات جهولة وانفجارات فجائية للقوة البهيمية . وقلما رأيت ذهناً انسانيًا يمثل في الحوادث دوراً مهمًّا ، بل على الضد من ذلك ظهر لي ان اصغر الاسباب وأحقرها يؤدي الى اعظمها ايلاماً وحزناً . ولم ارَ للعناية من اثر الا اتفاقاً

بكل : لم يكن تلميذك «تورغو» كثير التشاؤم ، وانك لتذكر انه وصف تاريخ التمدن وأعرب عن ايمانه بتقدم العقل الانساني في سلسلة محاضراته التي القاها في السوربون سنة ١٧٥٠

فولتير : يسرني ياسيدي ان تحسن القول فيه . فقد احييته ، وانكسر قلبي لما طرده الملك من وزارة المالية . اما فكرة التقدم فكانت شائعة في عصري ، واستأثرت بنوع خاص، صديقي الشاب المركيز كوندرسيه ، لما كان التمدن الفرنسي مهدّماً . ولكن تورغو كان مصيباً ، فان التاريخ لا يطاق الا اذا روى اخبار التمدن . فالفلاسفة ، دون غيرهم ، يجب ان يكتبوا التاريخ . لانهم يعرفون ان يفصلوا بين الصغائر والكبائر في مباحثهم . فيعرضوا عما يؤدي الى العبث ، وهو في التاريخ كالاحمال التي تثقل كواهل الحيوش . انهم يحصرون نظرهم في الاشياء العظيمة فان تقدُّم التصوير العقلي ، والنجاح المادي ، والسمو الادبي ، امور ليست هي عنوان تاريخ الامة فقط ، بل الباعية لذلك التاريخ . اما مدونات الحوادث الاخرى فلا قيمة صحيحة لها ، الا باعتبار ما تلقي من النور على التقدم الاقتصادي والعقلي والادبي . لذلك كان غرضي في كتابة «ملخص الاخلاق» اكتشاف تاريخ العقل الانساني ، راميا الى تعقب خطوات الناس من الهمجية الى التمدن

اناطول : قد وصفت تاريخ التصوُّر يا استاذ وصفاً عادلاً . وأني لمعجب بالعصر الذي ابرز كتابك هذا وكتاب مونتسكيه «روح الشرائع» ، ومجلدات جبون النصيحة . فأنتم الاولى حرروا التاريخ من اللاهوت ، ووهبوه للفلسفة والعلم . وحين افكر ان جنسنا ، لسبق سلم الثقافة والحكمة اربع مرات — في عهد «سقراط» ، وعصر «هوراس» ، وعصر «رابيه» ، وفي عصركم الخاص الذي يجب ان يحمل اسمكم — حين افكر في ذلك — التمنّى نوعاً عن الحروب والفضائح والكوارث والمظالم التاريخية ، فما يزكي التاريخ نوابغهُ

٢ — تفسيرهُ جغرافيًّا

بكل : يسرني يا سيدي ذكرك «مونتسكيه» . لا تتاح الساعة أنما تكلمنا في كتابة

التأريخ . ولم تنظر في العوامل التي يُعزى اليها قيام الامم وهبوطها . فبعد ما نقلنا التاريخ من السماء الى الارض ، ومن الملوك الى الانسانية ، ومن الحروب الى الحضارة، بقي علينا ان نسأل ما هي العوامل الجازمة فيه ، اعبقرية الرجال هي ، كما في قولك الاخير ؟ ام قوة المعارف المتجسمة والمتوارثة ؟ ام اختراعات العلماء والفنيين ؟ ام دم الجنس المتفوق؟ ام خصائص الاقليم وحال الجغرافية والتربة ؟ فان مونتسكيه يستحق الثناء لانه اول من بحث عن عوامل خاصة لنهوض الامم وسقوطها

مونتسكيه : انه لطف عظيم منكم ان تذكروني واخاف ان مواطنيك، يامسيو بكل، يذكرونني اكثر من مواطنيَّ . فانه حتى ڤولتير الكريم لم يعر تآليفي التفاتاً كبيراً

ڤولتير : الى اليوم يامسيو يشق عليَّ ان اغتفرلك ألمبتك في « رسائل باريسية » وسعة اطلاعك في « روح الشرائع »

مونتسكيه : اني اعرف ذلك ، فأعظم الرجال يتصرفون ،الواحد مع اخيه ، تصرف صغارة . فقد اشار معاصريَّ الى كتابيَّ الاول والثاني ، « رسائل باريسية » ونظرات في « اسباب نهوض الرومان وهبوطهم » كأن الاول هو سبب عظمة مونتسكيه والثاني سبب سقوطه ، مؤثرين التهكم على الفلسفة. وقد اتفق فريق من العلماء على نصحي بأني لااطبع « روح الشرائع » . وبالاختصار كنت مشهوراً جداً في انكلترا ، وعلى نقيض ذلك في بلدي

بكل : اني اعتبر «روح الشرائع» ابلغ ما انتج الادب الفرنسي في القرن الثامن عشر. وقد كنت اول من ابان ان الشخصيات لا يعول عليها في التأريخ ، وان الحوادث الفردية — حتى المعارك العظمى كمعركتي فيلبي واكتيوم — ليست اسباب ارتفاع الامم او هبوطها . وعلمنا ان افراد العظماء وجسام الحوادث ، انما هي رموز ونتائج للاعمال الواسعة الدائمة ، غير الشخصية كشكل الارض ودرجة حرارة الهواء

مونتسكيه : كتب «هيوقراط» في القرن الرابع ق. م. كتاباً سماه «الرياح والمياه والاقليم» ، ذكر فيه ، مختصراً ، ما يحدثه المحيط الجغرافي من التأثير في بناء الامة الطبيعي، ودستور الدولة الشرعي . ولسب « ارسطو » نجاح اليونان وتفوقهم العقلي ، الى اقليمهم « المتوسط » ومع اني لا اظن انه يجوز وصف درجة الحرارة في اثينا بـ « اقليم متوسط »

اناطول : ورجل آخر من سابقيك في هذا الميدان ، هو « بودان » الذي كتب في القرن السادس عشر في العلاقة بين الجغرافية والشجاعة والذكاء والاساليب والادب . حتى العذارى يختلف حبهنَّ باختلاف مواقع بلادهنَّ

مونتسكيه : ومن الخطإ الظن اني ارجع بالتاريخ الى الجغرافية . فهناك اسباب جمة

برهنت على انها الحاسمة في متنوع الامم . ففي بعضها كانت « الشرائع » هي السبب ، وفي اخرى « الديانة » ، وفي غيرها «العادات والآداب» ، وفي غيرها « الطبيعة والاقليم » . وهذه الاخيرة تتحكم في الامم الهمجية فقط . والعادات في الصينيين، والشرائع في اليابانيين، والآداب في الاسبرطيين . اما قواعد الحكومة وبساطة الاساليب القديمة فتعين الى امد بعيد ، خلق الرومانيين

بكل : ولكن اعظم ما أثر فيَّ من كتابك هو بحثك في الاقليم والتاريخ

مونتسكيه : اعترف لك انه قد اثر فيَّ انا ايضاً . فاني أومن أن لاختلاف الطباع وللصفات ، اثراً في رفعة الامم ، تتوقف الى حد بعيد على تأثير الاقليم . ففي المناطق الباردة يميل الشعب الى الاتصاف بالقوة ، وفي المناطق الحارة الى الكسل. هذا امر زهيد ولكن انظر ما اثر من العواقب . فان الهنود يحسبون الراحة والعدم اصل كل الاشياء ، والغاية العظمى التي اليها ينتهون . فيحسبون البطالة اكمل الحالات ، او غاية الغايات . فالكسل خيرهم الاعظم ، وهو يؤلف في فكرهم خلاصة السعادة الحيوية . . فنتج عن هذه الفكرة القديمة في كل مكان ، أن الكسل شعار الدولة الفضلى . وان الذين لا يعملون شيئاً هم سادة العمال . ولذا يتركون اظافرهم تنمو ، ليراها الناس فيحسبونهم من غير العمال

ولماذا ترى مصيرام الجنوب الى الخذلان امام الامم الشمالية ؟ أليس ذلك لأن الاقليم الشمالي ينشط الجسم والجنوب يخمله ، فالعبيد يردون من الجنوب ، والسادة من الشمال. وقد استعبد برابرة الشمال آسيا احدى عشرة مرة

ڤولتير : وقد تعلم يا مسيو أن كلمة عبد (سلايف) مشتقة من «السلاف» . ويرجع عهدها الى حين انكرت الكنيسة ، امنا المقدسة ، استعباد المسيحيين . وكان السلاف لم يهتدوا بعد الى الايمان ، فكانوا يصادون ويباعون براحة ضمير . وهكذا تحولت الكلمة من افادة المجد الى افادة الاستعباد . فهؤلاء العبيد الشماليون مستثنون من كلمتك على انهم طائفة زهيدة من العبدان

مونتسكيه : احسنت جداً في اصلاح خطإي . لكني فهمت يا مسيو بكل انك درست علاقة الاقليم بالتاريخ درساً وافياً

بكل : لم امعن في درسه. فقد كنت نصف يتيم لما ولدتني امي . ولازمني الضعف في حداثتي فلم اشارك الاحداث في العابهم . ولما كنت في الاربعين لم اعرف يوماً واحداً خلواً من المرض والالم . اذلني في صغري ، ضعف البصر ، فعلمتني امي شغل الابرة بدلاً من القراءة ، وذلك عملاً بالجهل المتحكم في عصري . فبلغت الثامنة ايبًا

كارليل : زه زه ، يا رجل . كلٌّ يعلم انك كنت في سن الاربعين قطب علماء انكلترا الاوحد. فقد اخبرني هكسلي انك لم تتمكن من حمل رأسك لكثرة ما ملأته. لانك حصلت اللغات الفرنسية والالمانية والدانمركية والايطالية والاسبانية والبرتوغالية والهولاندية والوالونية والعامية والاسوجية والايسلاندية والروسية والعبرانية واللاتينية واليونانية والبربرية والمراكشية . وفوق ذلك انت كاتب بالانكليزية لم كاتبٌ. وقد سمعت دارون يقول ان اسلوبك افضل ما قرأ. انني مرتابٌ في حكمه ولكنني احبُّ الحواشي التي تطقها في اسفل الصفحات

بكْل : حاولتُ تأليف تاريخ كامل للتمدن في انكلترا . وبعد اشتغال عشرين سنة انجزت اربعة مجلدات هي مقدمتهُ فقط . ثم توفيت امي فتوقفت عن العمل، ولو كنت قويَّ البنية لاكملته

مونتسكيه : الا تتفضل بذكر ما ادركت من التلفُ ؟

بكْل: قد بحث الاقتصادي البلجيكي (كوتله) بحثاً احصائياً في اعمال اختيارية كالزواج، وفي امور عرضية طفيفة كالقاء الخطابات في صندوق البريد من دون عنوان. فبن مواد كهذه، ومن امثالها ، استنتجت ان التصرُّف الانساني، وان ظهر حرًّا في تفصيلاته الفردية يبدو محكوماً، اذا نظرنا اليه في الجمهور ، بعوامل هي فوق حول الفرد . فليس لمزايا الافراد شأن كبير في سير المصالح الانسانية الكبرى ، ولا شأن للمؤرخين بها . لان التقدُّم لا يتوقف عليها بل على حشد المعارف وتوزيعها. فاني لم الاحظ تقدُّماً في الآداب ، ولا ارتقاء مطرداً في العواطف الانسانية . فالعلم الطبيعي وحده ينمو ، ويغيِّر وجه الارض

مونتسكيه : نتيجة معقولة للغاية . سمعتها من فونتينيل الشيخ

بكْل : انا نظيرك يا سيدي ارى في الجغرافية والاقليم والطعام والتربة ، وفي حال الطبيعة العام ، تأثيراً كبيراً في التاريخ . فناظر الهند الجليلة الراتعة تغلبت على عقل الهندي وشجاعته ، فمال الى الخرافات وعبادة الطبيعة . اما منظر اوربا فترك الانسان حرًّا ، فما فيه الميل الى التحكم في الطبيعة بدل عبادتها

اناطول : يظهر انك يا مسيو بكل لم تعبر الاتلنتيكي . فان هنود اميركا الشمالية تقدموا تقدماً ، لم يسبق لهُ نظير ، في العلوم الطبيعية والتطبيقية مع المكث على التقوى . ولو انك قمت لآثار هؤلاء الاميركيون اهتمامك

بكْل : لم استطع ان اخصص وقتاً لهذه السياحة ولا شجعني كتابات « ديكنز » على ركوب غاربها . على اني قرأت تاريخ اميركا بامعان فاكتشفت في نصف الكرة الغربي من الاحوال والجغرافية ما يثير العجب . فالشطوط الغربية الواقعة الى الشمال من مكسيكو حارة جافة ، والشرقية رطبة معتدلة . لذلك انحصر التمدن الاميركي ، قبل كولمبوس ، في المكسيك

واميركا الوسطى . حيث توجد منطقة ضيقة حبتها الطبيعة الحرارة والرطوبة الضروريين لحياة النبات والحيوان والانسان . ولما وصلها الاوربيون ، واذاعوا الاختراعات الكثيرة فيها، قلَّ اعتماد سكانها على الاحوال الطبيعية

مونتسكيه : فانت تحصر تأثير الجغرافية في العصور الاولى

بكل : متى زادت سيادة الانسان على المحيط ضؤل اثر الاحوال الطبيعية في مصيره

وليم جيمس : يسرني قولك هذا لاني كنت خائفاً ان ترد نا لحكم الطول والعرض الجغرافيين. وهل تعلم ان تفسير التاريخ تفسيراً جغرافيًّا قد طبقهُ فردريك رتزل على الدول الراقية

بكل : ارغب في معرفة احدث الآراء بهذا الشأن

رتزل : قد قال فيلسوف اميركا العظيم بعامي . فان تأليفي قسم صغير من دروس عصري الجغرافية . ان رتَر ، وكوهل ، وبشل ، وركلس ، اساتذة هذا الميدان . وقد بحث الاستاذ هنتنغتن ، في بلدكم يا دكتور جيمس ، ابحاثاً جليلة في هذا الشأن

وليم جيمس : قل لنا ماذا وجدت يا مستر رتزل ؟

رتزل : انا نعدل ، تعديلاً طفيفاً ، النتائج التي توصلت اليها مع مسيو مونتسكيه ، في امر الاقليم . فان صعوبة الحياة في المناطق الاستوائية لا تعود الى الحر بل الى الاخطار، كالزلازل والاوبئة والعواصف والفواري والبعوض والبق . ويفيد اعتدال الحرارة في الاقاليم المعتدلة ، فيأذن بالحياة خارج البيوت، فتنشأ المعاشرة والاختلاط الجنسي ويتلو ذلك الميل الى الثقافة والفن . اما في المناطق الشمالية الباردة حيث الصناعة والتجارة دائرة الدواليب فالعمل والاثراء يفضيان الى ترقية العلم بدلاً من الفن . والمزاحمة التي لا تلين تنشيء فلسفة «فردية» قاسية

ماركس : سأريكم ان كل ما عزوتموهُ الى الاقليم يرجع الى العوامل الاقتصادية

رتزل : وقد يكون للاقليم يد في تحديد القامة والملامح ايضاً . فقد روى كثيرون ان الاميركيين اخذوا يكتسبون اللون النحاسي كأسلافهم الهنود . وأبان الاستاذ «بواز» ان الاقليم الاميركي ، مع صرف النظر عن الاختلاط بالزواج، يميل الى تعديل قامات المهاجرين. ورؤوسهم تتجهُ الى شكل الرأس الاميركي ، والاستاذ هنتنغتن جادّ في آثار البرنس كروبتكن

اناطول : هو قديس الفوضويين . وانا اعرفه جيداً

رتزل : ابان الاستاذ هنتنغتن ان مقدار المطر يعين مصير الامم . فجفاف قعر البحيرات يكشف عن السر في المهاجرات

وليم جيمس : واملكم تعللون الهجرات والفتوحات والمهاجرة وقيام الامبراطوريات وانحطاطها الى دورات الكلف الشمسية ؟

رتزل : كل شيء ممكن . تأمل تأثير الانهار ، كالنيل والكنج وهوانهو ويختزي والدجلة والفرات والتيبر وابو والدانوب والرين والالب والسين والتيمس والهدسن وسنت لورنس والمسيبي ، فعلى ضفافها المثمرة استقرت قواعد كل المدن . والدانوب — آه يسادتي لو ان الدانوب يتكلم — كم من الحوادث كان يروي لكم عن الشعوب التي ظهرت على ضفافه . ولو جرت انهار روسيا شمالاً عوض جريها جنوباً فهل تظنون ان روسيا كانت ترنو الى القسطنطينية وتحارب في سبيلها حرباً بعد حرب الجريان انهارها الى قزوين والبحر الاسود حوّل نظرها جنوباً ، فقادها نهر الدنيبر الى القسطنطينية ونهر الفولكا الى آسيا . ولم تلتفت الى الغرب حتى احتط بطرس الكبير مدينة بطرسبرج ، وفتح نهر نيفا للملاحة فصارت روسيا قسماً من اوربا

بكل : طيب جداً يا استاذ . امض في بيانك

رتزل : تأملوا الدور الخطير الذي مثله سكان الشواطئ في التاريخ . فقد طوق البحر المتوسط اثنتي عشرة حضارة حتى حول الاتلنتيكي اوربا الى اميركا ، ووجّه طريق التجارة وجهة اخرى

هيغل : ذكرت في كتابي « فلسفة التاريخ » الذي لم تذكروه بعد انه يستحيل تصوّر التاريخ القديم بدون البحر المتوسط . فانه كروميا القديمة بدون الفوروم الذي التفت حوله حياة المدينة كلها

رتزل : اذكر الشاهد جيداً يا دكتور . فان شطوط اليونان الطويلة المكسّرة وكثرة جزائرها اتاحت لها طريقاً الى الفرس والشرق ، وجعلتها محور التجارة في البحر المتوسط . وقد انقص ثروة آسيا ضعف النسبة بين شطوطها وفلواتها الواسعة ، بتضييقه لنطاق التبادل . ومثل ذلك يصيب افريقية اليوم ، ولو لم تقرب الانهار وسكك الحديد داخلية الولايات المتحدة من البحر لظلّت متأخرة لسعة امتدادها بين المحيطين

اناطول : لقد حاربت روسيا لاجل نفر على البلطيك ، وجرمانيا لاجل مصب الرين ، وفرنسا لاجل الرين كله ، وانما لاجل تريستا وفيومي ، وانكلترا لاجل العالم اجمع ، واميركا لاجل الديموقراطية . مع ذلك اميل الى الظن بأنك قد غالبت في تأثير الجغرافية ، فثمّت اعتبارات أخرى ليست اقل شأناً وأخاف ان تكون حياة الامة ورفعتها قد افلتت من قاعدتك . فقد نشأت الامم العظيمة في كل اقسام الدنيا . وكان لها في اقاليمها المتباينة الاوصاف احوال متماثلة صعوداً وهبوطاً

رتزل : لا تخطئني يا سيدي . فلم ارم الى تفسير كل شيء بالتاريخ الى الجغرافية ، بل بعضه

بكل : للعوامل الجغرافية أثر محدود ولكنها لا تكون قط قوة حاسمة . فتحوّل خليج مكسيكو يدمّر انكلترا على ان هذا الخليج لم يمنح انكلترا عظمتها . فالعوامل الحاسمة في تمدّن كل امة ، هي العوامل العقلية والاقتصادية ڤولتير : حكم معقول

[يتبع] هنا مبارك